

## السودان من بؤرة صراعات إلى مركز إقليمي



ملاذ أمن لقيادات متشددة، ومنه بدأت تبث سمومها في دول المنطقة. يمكن أن يصبح السودان نموذجا مضيئا وحدائيا في أفريقيا. ويمكن أن يكون نموذجا مظلما ومركزا للتخلف. الكرة في ملعب من يديرون معادلة السلطة ومن يشاركون فيها إيجابا أو سلبا من قوى معارضة. إذا كانت فرص الفريق الأول متفوقة على الثاني حاليا، فعلى أصحابه تقديم التلميذات الواجبة والإنجازات السريعة لزيادة رقعة المساندة في الداخل والخارج.

الموط بها تهينة البلاد للدخول في مرحلة من الأمن والاستقرار، وما يستلزم من ضوابط محكمة ونزاهة في السياسة والاقتصاد وملحقاتها، وكل ما يحمله من مصداقية وشفافية. بدأت قوى كثيرة تعمل على غلق صفحات الحروب الإقليمية. وأخذت دول متعددة تجتهد لدخول النادي من أبوابه التنموية وما تحتاجه من بيئة مواتية عمادها الاستقرار. ولعل محاولات إثيوبيا في هذا المجال مؤخرا تقف شاهدا على الرغبة العارمة. وكان من الممكن أن تصبح نموذجا غير أن مشكلاتها الداخلية والخارجية بحاجة لوقت لحلها، ما يحد من الطموحات التي راهنت على أنها الدولة المركز في المنطقة حاليا. يرى سودانيون أن أمامهم فرصة كبيرة لتجاوز عقود الجفاف. ولذلك تراجع جزء كبير من خلفهم السياسي والاجتماعي، وحتى المحاصصة كقاسم في الخطاب السوداني تم تجاوز محدوداتها التقليدية في تشكيل المجلس السيادي والحكومة وتغليب فكرة المواطنة. ويحدو الأمل قوى سياسية من ألوان متنوعة ليكون بلدها النموذج الذي تصنعه بنفسها، دون رعاية مباشرة من قوى خارجية. فقد فات الأوان الذي تتم فيه صناعة الدول على مقياس قوى كبرى وتدشينها لأهداف استراتيجية جماعية. يمكن أن يحظى السودان بمساعدات قوى مختلفة لتطوير هيكله ودعم تقدمه، طالما أنه قادر على مواجهة التحديات، ويمكث من المقومات ما يساعده على مجابهتها وتغليبها، لأن الدول العاجزة والمستسلمة تخسر فيها الصراعات، وتتصاعد فيها تصفية الحسابات الخارجية. ومر السودان بتجربة قريبة من ذلك طوال عهد

وإذا تقدما معا أرخت مشكلات أمنية بظلالها على المشهد العام، بما يعوق الوصول إلى الدولة "القوية" أو المهمة في أفريقيا، التي تحتاج بيئة مناسبة لرعايتها، وتوفير العوامل اللازمة لتجسيدها. قد يكون السودان هذه الدولة الغائبة في القارة، إذا مضت عملية التوافق السياسي بين الأطراف العسكرية والمدنية إلى سبيلها الإيجابي، بعد أن قاد التفاهم إلى توقيع اتفاق لتقاسم السلطة، يؤدي نجاحه في النهاية إلى تحاشي سنوات الفشل الماضية بكل ما تنطوي عليه من إخفاقات سياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية. لدى السودان فرصة كشفها اهتمام إقليمي ودولي كبير لتخليصه من تحالف العسكريين والإسلاميين، وتوفير أجواء داخلية جيدة لتفكيكه، وقدمت وعود صريحة وضمنية لتخطي صفحته. وثمة تعهدات بمساعدة السودان اقتصاديا لإخراجه من أزماته المترامية، إذا نجح في توفير السلام الشامل، وأنهى الحلقات القائمة من المعارك التي سادت ربوعه. يمتلك السودان موقعا مميزا في القارة، وموارد طبيعية لم تستغل بعد، وتاريخا طويلا في التعاطي السياسي، وطيفا واسعا من النخب الواعية. ويات محطة مهمة في صراعات قوى إقليمية ودولية مختلفة، في ظل التفكير فيه كمرکز للعديد من المشروعات التنموية. قدم التعامل مع الأزمة الأخيرة صورة جيدة للتفاهم السياسي على قاعدة التنازلات المتبادلة وتغليب القواسم المشتركة، لفتت انتباه بعض الدوائر للتفكير في أن يصبح السودان النموذج. ويبقى أن عليه النجاح في استكمال تنفيذ استحقاقات المرحلة الانتقالية

يستدعي ما جرى في آسيا منذ عقود نفسه في أفريقيا حاليا. ولا أعلم مدى دقة المقارنة في تقديرات المهومين بما يدور من تطورات درامية، لكن أشعر أنها حاضرة ومنطقية في أذهان كثيرين، بشكل مباشر أو غير مباشر. فالقارة السمراء متوقع أن تستحوذ على المزيد من اهتمام قوى عالمية من الشرق والغرب، في وقت نجحت بعض الأطراف في تكريس وجودها بالطريقة التي تراها مناسبة لتحقيق مصالحها، ولا يزال هناك من يسعون إلى اللحاق بها. أصبحت الصين أكبر راع في أفريقيا، ولا تخلو دولة مهمة في القارة، من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها، إلا وتلاحقها بكين بالمساعدات والاستثمارات. مع ذلك لم تقدم لنا الدولة الشاهد على براعتها في الاقتصاد أو غيره، لأنها تفكر للنموذج الديمقراطي الذي يصلح للتعميم. وهي ثغرة يمكن أن تعوق تمدد كين في أفريقيا وغيرها، حتى لو بدت تجربتها الاقتصادية المتطورة وتصوراتها السياسية الصارمة تروق لبعض زعماء دول القارة. تريد شعوب الدول الأفريقية نهضة اقتصادية تخرجها من الفقر إلى الرفاهية. تجري وراء الحدائق التي تمكثها من إنهاء التوترات والحروب، وترى أن التطور الديمقراطي الطريق الوحيد القادر على تجاوز الأزمات الناجمة عن هذه الحالة، وصهر الجماعات العرقية المتنوعة في بوتقة احترام حقوق الإنسان وتقديس الحريات والإعلاء من شأن المواطنة القومية. ظهرت تجارب اقتصادية وسياسية واعدة، لكنها بقيت ناقصة أو مبتورة. لم تحقق التطور المتوازن على هذين المستويين. فإذا تقدم الأول تراجع الثاني.

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

لم تفلح العقود التي تلت تحرير الدول الأفريقية من الاستعمار في تقديم نموذج للحدائق المتكاملة، تنتقل عدوا إلى دول المنطقة. وأخفقت التجارب السياسية والاقتصادية من جنوب أفريقيا وحتى كينيا وما بينهما من دول منتورة نسبيا في تقديم تجربة ناجحة تمثل مصدرا للإلهام في القارة. غابت الدولة الرائدة واجتهد كثيرون في تطوير الأنظمة الحاكمة، ولم نجد النموذج الذي يحظى باهتمام نوعي من بعض القوى المؤثرة في التفاعلات الدولية، ومنها ينتقل شعاع النور الديمقراطي والتنموي إلى دول تعاني أزمات متفاقمة، ربما لأن الصراعات أخذت أنماطا مختلفة ولا توجد القوة المعنية بتقديم الدولة الجاذبة، وربما تفتقد القارة للحاضنة التي تعبر عن الحدائق بمعناها الشامل في القرن 21. انتهت الحرب الباردة، وطويت معها إفرزات سياسية واقتصادية وأمنية عدة، وأصبحت تجربة الرأسمالية في كوريا الجنوبية وهونغ كونغ وسط بيئة اشتراكية مسالمة عادية، وعدواهما انتشرت في المحيط الجاوي، وبرزت دول في الشرق الآسيوي تناهز في تقديمها الاقتصادي دولا في الغرب الرأسمالي. ويصرف النظر عما حققه المشروع من تأثيرات استراتجية، إلا أنه يقف شاهدا على عمق التحولات في آسيا، والاهتمام الولايات المتحدة وحلفائها بتسويق حالة نادرة في مكانها وزمانها لتكبح جماح الاتحاد السوفييتي آنذاك وخلخلته وكسر شوكتة العسكرية.

## روسيا الصديقة وأميركا العدو

باشهر ولكن إن واصل ترامب أنانيته التي يمارسها تحت شعار "أميركا أولا"، فسيعبث الدفء حتما في عروق العلاقات الروسية الأوروبية الباردة.

### العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير  
مختار الدبالي  
كرم نعمة  
حزام خريف

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العيقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

والروس، هذا على الأقل ما يريده الأوروبيون وما مارسوه ليس فقط في حادثة القرم، وإنما أيضا في محاولة تسميم الجاسوس الروسي السابق سيرغي سكريبال وابنته على الأراضي البريطانية في شهر مارس عام 2018. استبعاد الخبر العسكري ليس هو العامل الأخير الذي تستند عليه المراجعة الأوروبية للعلاقة مع روسيا. ثمة روابط اقتصادية واجتماعية وسياسية كثيرة تجمع دولا في الاتحاد مع روسيا ترجح كفة الصداقة على العداء بين بروكسل وموسكو.

ثمة دور أوروبية عديدة انتقلت من الضفة الشيوعية إلى الضفة الرأسمالية منذ مطلع الألفية الجديدة، تؤيد فكرة وحدة القارة بدلا من الاتحاد كتكتل تفرص فيه الدول القوية شروطها على الدول الضعيفة. هذه الدول تحفظ برصيد جيد من العلاقات مع روسيا وربما يولد الضغط عليها نزعته للانفصال عن الاتحاد الأوروبي وإبرام اتفاقيات اقتصادية ودفاعية مع موسكو. ولا شك أن مخاوف تفكك الاتحاد الأوروبي تدفع بروكسل إلى إعادة النظر في عدائها لموسكو. فالعلاقة الجديدة مع روسيا قد تمنعها من الترحيص على انقسام التكتل وتفككه، سواء عبر التدخل في الانتخابات البرلمانية والرئاسية في دول الاتحاد، أو عبر تعزيز العلاقات مع دول الاتحاد القريبة من موسكو. ولم يعد خافيا على أحد، أن الولايات المتحدة ترغب بتفكك الاتحاد الأوروبي، أو بتعبير أدق ترامب هو من يريد ذلك، وهو من يحرض عليه سواء بدعمه طلاقا ولنين وبروكسل دون اتفاق، أو عرضه دعم الرئيس الفرنسي في خطوة انفصالية شبيهة بما فعله البريطانيون في استفتاء عام 2016.

حتى في حربه التجارية مع العالم، لم يمنح ترامب أي اعتبار لتحالف بلاده مع الاتحاد الأوروبي، وفرض الضرائب على دول الاتحاد وواصل تضييقه عليها لكي تبحث عن آفاق جديدة للتعاون الاقتصادي مع "خصوصية" الروس والصينيين، وبالتالي منح ترامب الأوروبيين دافعا جديدا للتقارب مع موسكو.

لن يستطيع الأوروبيون تسوية عقود من النزاع البارد مع روسيا بغضمة عين، ولن تنتهي المراجعة الأوروبية التي يريدها الرئيس الفرنسي في العلاقات مع روسيا بسرعة، ففتحوال الخصومة إلى صداقة تزهز تحالفا ينهي القطبية الأميركية الوحيدة للعالم. لن يحدث هذا

آخر للتقارب مع الروس. فقد كان قرارا أنانيا تجاهل فيه تحالف بلاده مع الاتحاد الأوروبي. وما هي موسكو وبروكسل تقفان على ضفة واحدة لحماية الاتفاق والحفاظ على علاقتهما الاقتصادية والسياسية مع طهران. الانفتاح الأميركي على التفاهم مع روسيا حول ملفات الشرق الأوسط، وخاصة سوريا، ساهم في إبرك الأوربيين أن شرط العداء المطلق للروس لا ينطبق سوى عليهم، فيما تتمتع واشنطن بحق اللعب على جميع الحبال بما ينسجم مع مصالحها فقط.

### إن واصل ترامب أنانيته التي يمارسها تحت شعار «أميركا أولا»، فسيعبث الدفء حتما في عروق العلاقات الروسية الأوروبية الباردة

الدور الأميركي في دفع بروكسل لمراجعة علاقتها المتوترة مع موسكو، حضر أيضا في ضغط واشنطن على الدول الأوروبية لزيادة مساهمتها في ميزانية حلف الناتو. قد يتبادر إلى ذهن الأوروبيين سؤال من قبيل: لماذا لا نتصالح مع العدو الروسي بدلا من أن نستسلم للابتزاز الأميركي؟ لا يريد الأوروبيون حربا على أراضيهم مهما كلف الأمر، وريدهم على ضم روسيا للقرم عام 2014، كان أكبر دليل على هذا التوجه. الحرب الاقتصادية والدبلوماسية هي سقفا أي مواجهة بين الأوروبيين

بهاء العوام  
صحافي سوري

عندما يقول الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إن على أوروبا أن تعيد هندسة نفسها لتطوي عقودا من الخلافات بين الغرب وروسيا، فهذا يكشف مقاربة مختلفة للاتحاد الأوروبي في علاقته مع روسيا ومراجعة كبيرة لعلاقتها مع الولايات المتحدة. لا يعني ذلك أن روسيا ستتحول بين ليلة وضحاها من عدو إلى صديق، ولكن الحديث عن علاقات جيدة بين بروكسل وموسكو لم يعد خيانة "لشهداء" الحرب الباردة.

الربط بين تضعف العلاقة الأوروبية الأميركية والتقارب الأوروبي الروسي يبدو منطقيًا. فالسياسة العنجهية للرئيس الأميركي دونالد ترامب حولت الحلفاء إلى خصوم ووحدت الخصوم في مواجهته. ربما كان انسحاب واشنطن من معاهدة الأسلحة النووية قصيرة المدى القشة التي قصمت ظهر البعير. فعودة سباق التسلح بين القطبين الروسي والأميركي سيضع الدول الأوروبية في خطر. وترامب لا يكتفئ كثيرا بلخل هذه الأخطار طالما أن في انسحابه تطويراً لأسلحة ستر أموالا عند بيعها. صحيح أن روسيا هي التي تقود حملة عبر مجلس الأمن ضد عودة أميركا إلى تطوير منظومة أسلحتها وشروعها في إنتاج صواريخ تثير قلق موسكو وقلق الكثيرين حول العالم، ولكن دول الاتحاد الأوروبي تتفهم المخاوف الروسية في هذا المجال، وتتفهم أيضا ماذا يعني أن تنجر موسكو إلى هذا السباق. انسحاب الرئيس ترامب من الاتفاق النووي مع إيران منح الأوروبيين مبررا

## تفجير الصواريخ الإيرانية في العراق سيستمر

د. باهرة الشيبخية  
كاتبة عراقية

بيان المهندس أظهر أن الخلاف بات عميقا بين قيادات الحشد الشعبي من خلال البيان، الذي أصدره رئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض، والذي يقول "تؤكد رئاسة هيئة الحشد الشعبي أن ما نسب إلى نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي - بغض النظر عن صحة صدوره عنه - لا يمثل الموقف الرسمي للحشد الشعبي وأن القائد العام للقوات المسلحة أو من يخوله هو المعتبر عن الموقف الرسمي للحكومة العراقية وقواتها المسلحة".

والأكثر أن الرئاسات الثلاث في العراق رفضت البيانين، و"دعت" الحشد الشعبي إلى ضبط النفس. هذا التناقض في التصريحات، والرعب الذي أصاب الميليشيات الإيرانية وهروبها من مواقع القصف، بعث الأمل في نفوس العراقيين بقرب تخليصهم من هذه الميليشيات، التي عانت بآمن العراق وأفسدت وقتلت وفعلت الإعجاب بهم، مما لم يشهده في تاريخهم كله.

بهاء الأعرجي نائب رئيس الوزارة العراقي الأسبق كان أكثر شجاعة من المهندس حين قال إنه "من خلال طبيعة نيران حريق مخازن العنقاء في معسكر الصفر جنوب بغداد، يظهر أن الأسلحة التي انفجرت غير عادية ولا تستعملها القوات العراقية ولا حتى الحشد الشعبي"، مضيفا "نعتقد أنها عبارة عن أمانة لدينا من دولة جارة، وقد استهدفت هذه الأمانة من دولة استعمارية ظالمة بناء على وشاية عراقية خائنة"، في إشارة إلى إسرائيل.

إن تفجير مخازن الصواريخ الإيرانية في العراق سيستمر حتى آخر صاروخ، لكن الخطورة في الأمر أن الميليشيات الإيرانية تحتفظ بهذه الصواريخ الباليستية، التي لا يحتاجها العراق ولا يحتاجها الحشد الشعبي، وسط المناطق الأهلة بالسكان، مما يصيب السكان المدنيين الأبرياء بالأذى ويعرض أطفالهم للربح والخوف ويدمر منازلهم، التي تعوضهم عنها الحكومة، كما جاء في بعض التقارير الصحافية، بمبلغ 25 ألف دينار عراقي، وهو ما يساوي نحو 21 دولارا وهو ما يمثل استهانة واضحة بالأم العراقيين.

د. باهرة الشيبخية  
كاتبة عراقية

الانفجارات التي تصر الحكومة العراقية على وصفها بالغامضة، تعطي انطباعا بأن الحكومة العراقية إما أنها لا تريد التطور مع أي جهة دولية، وإما أنها لا تعلم شيئا مما يدور حولها وأن سيادتها ناقصة. ألح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، في تصريح صحفي نقله عنه موقع "تايمز أوف إسرائيل" أنه "ليس لإيران حصة في أي مكان"، مضيفا أن أيدي إسرائيل طويلة وستتحرك ضدها أينما تستدعي الحاجة، مشيرا إلى مسؤولية إسرائيل عما يُعتقد أنها غارات جوية على معسكرات الحشد الشعبي بالعراق. ورغم هذا الوضع، ورغم التصريحات الإسرائيلية بهذا الصدد، تنكر الحكومة العراقية ذلك وتصر على أن الأمر لا يعود عن كونه تماسا كهربائيا مرة، وسوء خزن للصواريخ مرة أخرى، وحوادث غامضة أخرى، حتى أن أحد الناشطين الحقوقيين كتب على صفحته في فيسبوك تغريدة ساخرة تقول "للمرة 17 تماش كهربائي يحيل معسكرا لميليشيا الحشد الشعبي إلى أثر بعد عين، والمعرضون يقولون إن الكهرباء ليست قوية في العراق". ورغم الإقرار الإسرائيلي بمسؤولية تل أبيب عن هذه الانفجارات، إلا أن جمال جعفر ال إبراهيم (أبو مهدي المهندس) نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي تحاشى توجيه أي اتهام مباشر إلى إسرائيل، في بيان أصدره وتبرأت منه هيئة الحشد الشعبي، وهدد الولايات المتحدة بتحميلها المسؤولية "فليس لدينا أي خيار سوى الدفاع عن النفس وعن مقراتنا بأسلحتنا الموجودة حاليا واستخدام أسلحة أكثر تطورا، وقد انتظرنا طول هذه الدمة ونحن إكمال جميع تحقيقاتنا بدقة حول الموضوع، هذا وقد أبلغنا قيادة العمليات المشتركة باننا نستعبر أي طيران أجنبي سيحل فوق مقراتنا دون علم الحكومة العراقية طيرانا معاديا، وستتعامل معه وفق هذا المطلق وستستخدم كل أساليب الرد للحيلولة دون الاعتداء على مقراتنا".

